

عنوان الدرس : يوسف واخواته

كود الدرس : les_cf_2

الكاتب : الأب / فكتور حشوه

أحباءنا الدارسين

تناولنا ابتداء من الدرس الماضي سلسلة حول نخبة من الأبطال الذين ضحوا بالغالي والنفيس في سبيل إراحة الآخرين. وفي معرض حديثنا عن يوسف ابن يعقوب قلنا بأنه كان محط إعجاب أبيه وحبه وكرامته اخوته وانه قد أسىء فهمه وهو الذي أراد ان يقدم لاختوته كل خير... وذكرنا بان المسيح له المجد الذي جال يصنع خيراً ويشفي جميع المتسلط عليهم إبليس وقد قوبل خيره بالشر وحبه بالكره وحياته بالموت... ولكن المحبة الحقيقية لا تسقط أبداً.

في الوقت الذي يسعى فيه اخوة يوسف ضد مصلحته، سعى يوسف في أثرهم ليطمئن على أحوالهم وأحوال مواشيهم، فقد توجه يوسف نزولاً عند رغبة أبيه يعقوب، إلى مدن بعيدة عن موطنه الأصلي للتأكد من سلامتهم.

كان يوسف صاحب أفعال وليس ردود أفعال. وعلى الرغم من صعوبة موقف يوسف الذي ينطوي على التنازل عن كرامته الشخصية ومصلحته الفردية من اجل راحة اخوته فقد قام بالعمل الذي اسنده إليه والده دون أي نوع من التردد. وهنا نقف لنسأل: هل نحن على اتم الاستعداد كي نسعى في اثر اخوتنا ونبحث عن مصلحتهم عندما نعلم بسوء نواياهم نحننا؟ وهل نحن مستعدون لتكبد مشاق الطريق والصعوبات التي تعترض سبيلنا في سبيل مصلحة اخوتنا؟ هذه هي المواقف الخالدة التي يجب ان تميزنا عن الآخرين. عندما لم يجدهم في المكان الذي أرسله إليه أبوه لم يقل يوسف في نفسه "حسناً ها أنا قد قطعت هذه المسافة البعيدة ولم أجد اخوتي، اعد الان إلى أبي واخبره بان إرساليته لم تسفر عن نتائج إيجابية. هذا طبعاً بالإضافة إلى ان اخوتي لا يحبونني". لا، لم يفعل يوسف هذا بل عندما وصل إلى شكيم حيث أرسله أبوه لإيجاد اخوته وجده إنسان غريب تائهاً في الحقل وسأله عما يبحث فكان جوابه الرائع أني طالبُ اخوتي". لقد عقد العزم على ان يبحث عن اخوته حتى يجدهم مهما كلف الأمر... فان كان قد قطع الميل الأول عند وصوله إلى شكيم فما عليه الان الا ان يتجاوز الواجب ويسير الميل الثاني بحثاً عن اخوته.

جاء غريب ليرشد يوسف على الطريق للوصول إلى اخوته، وهنا أشجع أحبائنا المستمعين ان كانوا قد جدوا في طلب مصلحة اخوتهم لفترة طويلة ولم يتوصلوا إلى نتائج ان يتابعوا البحث عن مصلحة اخوتهم ولا بد ان يحققوا الغاية المنشودة.

كم هو صحيح ان نذكر بان اهتمامنا بالآخرين يجب الا يكون على سبيل الواجب بل من منطلق المحبة الحقيقية لهم. والمحبة لا تعرف حدود الواجب او الالتزام بنطاق المهمة والمسؤولية المناطة بنا فقط بل تتجاوزها إلى تحقيق الهدف المنشود. في اثر اخوته حتى وجدهم في المكان الجديد الذي كانوا يرون فيه أغنامهم وهو دوثنان. ولكن ماذا كان رد فعل اخوته نحو مبادرته الرائعة وتضحياته النبيلة؟ اقرأوا معي ما تقوله كلمة الله في تكوين 37: 18 " فلما أبصروه من بعيد قبلما اقترب إليهم احتالوا له ليميتوه. فقال بعضهم لبعض هوذا هذا صاحب الأحلام قادم. فالان هلم نقتله ونطرحه في إحدى الآبار ونقول وحش رديء أكله. فنترى ماذا تكون أحلامه". يا لقسوة الاخوة نحو أخيهم. أبهذا يكافئ فاعل الخير؟ أهذه هي نهاية يوسف الذي سعى في اثر اخوته طالباً ما هو لمصلحتهم و إراحتهم؟

الحقيقية غالبية اخوته طالبوا بالقضاء عليه والتخلص منه ولكن واحداً منهم وهو أكبرهم أراد ان ينقذه فقال " فسمع رأوبين و أنقذه من أيديهم وقال لا نقتله. وقال لهم رأوبين لا تسفكو دماً اطرحوه في هذه البئر التي في البرية ولا تمدوا إليه يداً".

لقد نجح رأوبين في إقناع اخوته بطرح أخيهم في البئر فألقوه هناك ولكن الأخ الأكبر لم يستطيع تغيير نوايا اخوته ولا رغبتهم الملحة في التخلص من أخيهم مهما كلفه الأمر.

وهنا لا يسعني الا ان احني رأسي وقلبي خشوعاً وإجلالاً لما صنعه المسيح من أجلنا. فقد ترك السماء وجاء إلى أرضنا طلباً لنا لكي يخلصنا من خطايانا واثامنا ويعطينا قلباً جديداً وحياة جديدة لا من اجل بر وخير عملناه بل بمقتضى رحمته نحونا وحبه لنا. ومع ذلك فقد صرخنا "اصلبه اصلبه" فكان ذلك. ولكن المسيح مات لكي يحينا وافتقر لكي يغنيا، واليوم يمد يسوع يده التي سمرناها ويقول "تعالوا إلي يا جميع المتعبين و الثقلي الأحمال وأنا أريحكم" فهل تأتي وتتمتع بالراحة الحقيقية التي جاء المسيح لكي يتمتعنا بها!!!